Religion and Society in Sicily During the Islamic Period: A Historical and Analytical Approach

Arbi Sghaier El Arbi[1]

National Heritage Institute,
University of Tunis, Tunisia

Science Step Journal / SSJ

2025/Volume 3 - Issue 9

To cite this article: El Arbi, S. A. (2025). Religion and Society in Sicily During the Islamic Period: A Historical and Analytical Approach. Science Step Journal, 3(9). 520-537. https://doi.org/10.5281/zenodo.15787006 ISSN: 3009-500X.

Abstract

This study explores the relationship between religion and society in Sicily during the Islamic period (212–484 H / 827–1091 AD), a time marked by significant cultural transformation. Renowned for its multiethnic composition and religious diversity, Sicilian society experienced a profound shift when Islamic rule replaced Byzantine Christian governance. With the arrival of Islam came not only a new religion but also distinct social, legal, and cultural frameworks that reshaped public and private life. The central aim of this research is to examine the role of religion in shaping the social structure of Islamic Sicily, particularly for both Muslim and non-Muslim communities. It interrogates whether Sicily merely mirrored the broader Islamic world or forged a distinct socio-religious model in the western Mediterranean. Despite the region's historical significance, this question has received limited scholarly attention, especially in comparative Mediterranean contexts. This work adopts a historical and analytical approach, grounded in a critical reading of primary sources and enriched by contemporary historiographical debates. It investigates how Islamic governance influenced societal organization, minority integration, and the continuity or rupture with Byzantine systems. By highlighting the specificity of the Sicilian case, the study contributes to broader discussions on the interplay between religion and society in medieval Islamic contexts. Ultimately, it offers new insights into how religious systems not only structured communal life but also negotiated identity, coexistence, and political authority in a diverse Mediterranean setting.

Keywords

Religion, society, Sicily, minorities, Middle Ages

[1] Historical and archaeological research officer (Middle Ages), arbisghaier@yahoo.fr

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الدين والمجتمع في صقلية خلال الفترة الإسلامية:
مقاربة تاريخية - تحليلية

العربي الصغير العربي

المعهد الوطني للتراث، جامعة تونس، تونس

ملخص

الإبداع يتناول هذا العمل علاقة الدين بالمجتمع في صقلية في فترة الحكم الإسلامي (212-484 هـ/827-1091 م). فقد عُرف المجتمع الصقلي بتعدد أعراقه وتنوع أصوله وديانته. وكانت صقلية تعيش تحت سيطرة البيزنطيين قبل خضوعها للسلطة الإسلامية، وكانت الديانة السائدة هي المسيحية. ثم أدخل الوافد الجديد دينا مغايرا لديانة السكان وقيّما حضارية جديدة. يطمح هذا العمل إلى التدقيق في دور الدين في المجتمع الصقلي خلال حكم المسلمين. فلم يتم البحث والتعمق في هذه المسألة من طرف المهتمين بتاريخ صقلية. كما يلقي الضوء على مدى محاكاة النموذج الصقلي لبقية المناطق الإسلامية. ويندرج البحث في سياق الدراسات التاريخية التي تحاول فك رموز علاقة الدين الإسلامي بالمجتمع خلال العصر الوسيط بالتركيز على المجتمع الصقلي كنموذج يستدعي الاهتمام والدراسة لخصوصية. ويهدف البحث إلى معرفة دور الدين الإسلامي الذي حلّ بصقلية في تحديد طبيعة النظام الذي تم اتباعه داخل ولاية صقلية وكيف نظّم وسيّر حياة المسلمين والأقليات داخل المجتمع؟ وهل غيّر النظم الموروثة عن الحقبة البيزنطية؟ وهل حاكت صقلية العالم الإسلامي أم مثلت نموذجا فريدا في غرب المتوسط؟ وتكمن أهمية الموضوع في كون المسألة المطروحة لم يتم التطرق إليها سابقا من طرف مؤرخي شمال وجنوب المتوسط. وسوف نتبع في هذا البحث منهجا تاريخيا تحليليا ينطلق من تحليل المعلومات التي وردت بالمصادر ونقدها واثرائها بالدراسات التي لامست الموضوع من قريب أو من بعيد . وتساهم هذه الدراسة في إلقاء الضوء على المسألة المطروحة. وتعتبر محاولة جريئة فككت إلى حد كبير دور الدين في المجتمع الصقلي اعتمادا على أمثلة ملموسة وقراءة نقدية للمصادر. وحاولت مقارنة النموذج الصقلي بالعالم الإسلامي .

الكلمات المفتاحية

الدين، المجتمع، صقلية، أقليات، العصر الوسيط

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مقدمة:

تبدو معلومات المصادر حول علاقة الدين بالمجتمع في صقلية خلال العصر الوسيط نادرة جدا، فجل المصادر التي تناولت تاريخ صقلية ركّزت على العمليات العسكرية في أغلب مناطق الولاية وخارجها. فباستثناء ما كتبه ابن حوقل الذي زار صقلية في عهد الكلبيين وما دونه الداودي في كتاب الأموال حول صقلية لم تتعرض بقية المصادر إلى المسألة المطروحة في عمقها. وما لدينا يبقى مجرد معلومات متناثرة هنا وهناك في عدد من المصادر الأدبية يمكن البناء عليها والاستفادة منها لفك رموز هذه العلاقة. فعلاقة الدين بالمجتمع في صقلية في عهد حكم المسلمين الذي بدأ منذ سنة 212 هـ/827 م وتواصل إلى سنة 484 هـ/1091 م لم تولها الدراسات أهمية كبيرة - باستثناء ما كتبه ميخائيل أماري في كتابه الشهير(M. Amari, 1933-1939, Storia dei Musulmani di Sicilia) - لصعوبة هذا المبحث في ظل شح المعلومات وقلتها في المصادر. فقد عرفت صقلية بعد سيطرة المسلمين وتأسيسهم لولاية جديدة في المتوسط دينا مغايرا لديانة السكان. وساهم الدين الإسلامي الجديد الوافد في تغيير نمط حياة المجتمع، الذي عرف بتعدد الأعراق والأصول والديانة. وأرسى قيّما حضارية جديدة وغيّر العلاقات التي كانت سائدة.

أن عملنا سوف يتبع منهجا تاريخيا تحليليا يقوم أولا على تمحيص المصادر والتدقيق في معلوماتها ونقدها والاستفادة منها. ثم ندعم ذلك بالدراسات التي لامست الموضوع لكي نتمكن من معرفة كيف كان الدين الإسلامي عاملا فاعلا في تنظيم حياة الناس وطرق عيشهم في صقلية؟ وهل حاكت صقلية العالم الإسلامي أم مثلت نموذجا فريدا في غرب المتوسط؟

1- تقديم تاريخي:

بدأت الحملات الحقيقية على صقلية منذ سنة 812 هـ/827 م مع القائد أسد بن الفرات. وعرف مسار السيطرة على الجزيرة والتوسع داخلها من الغرب إلى الشرق فترة طويلة امتدت إلى سنة 289هـ/ 902 م. فبعد السيطرة على بلرم سنة 216 هـ/831 م (ابن الأثير، 1857، ص 221؛ ابن عذاري، 1848-1851، ص 104؛ النويري، 2004، ص 428؛ ابن خلدون، 1857، ص 465؛ ابن أبي دينار، 1857، ص 526-527) بدأ التفكير الجدّي في تأسيس ولاية جديدة في المتوسط تابعة لإفريقية الأغلبية عاصمتها مدينة بلرم (الطالبي، محمد، 1985، ص 477). لكن اخضاع كامل الجزيرة والجزر المحيطة بها، وهي كل من قوصرة ومالطة اللتين ستكونان ضمن مجال ولاية صقلية، سيكون تدريجيا. فبعد أن تمكن الجيش الأغلبي من السيطرة على إقليم مازر بالجزء الغربي للجزيرة في حدود سنة 226 هـ/840 م (الطالبي، محمد، 1985، ص 481-493)، اتخذ المسلمون من بلرم عاصمة للأراضي التي تم اخضاعها. ثم ضموا جزيرة قوصرة نهائيا إلى مجال ولايتهم الجديدة سنة 221 هـ/835 م (ابن خلدون، 1857، ص 460-468؛ Boccanera, 1908, p. 87؛ العربي، 2016، ص 117).

بعد ذلك توجهوا بين سنتي 227 هـ/841 م و264 هـ/878 م لإخضاع الركن الجنوبي الشرقي لجزيرة صقلية (ابن الأثير، 1857، ص 227؛ النويري، 2004، ص 430) والذي سيطلق عليه إقليم نوطس فيما بعد، لأن قاعدته ستكون مدينة نوطس وليس سرقوسة عاصمة الجزيرة في العهد البيزنطي. وسيقوم الجيش الإسلامي بالسيطرة على جزيرة مالطة في هذه الفترة، وقد تم ذلك سنة 256 هـ/870 م على يد أحمد

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بحبشي (مجهول، 1972، ص 51؛ مجهول، 1857، ص 166، ابن الأثير، 1857، ص 239؛ ابن عذاري، 1848-1851، ص 120؛ النويري، 2004، ص 434؛ الطالبي، محمد، 1985، ص 520-521 ؛ Vasiliev, 1935, p. 99)، وستصبح تابعة لولاية صقلية.

ثم ركّز الجيش الأغلبي عملياته العسكرية على الركن الشمالي الشرقي للجزيرة الذي استعصى عليهم خلال الفترات السابقة. ولن تتم السيطرة عليه إلا في فترة الوالي إبراهيم الثاني سنة 289 هـ/902 م (ابن الأثير، 1857، ص 248-249؛ النويري، 2004، ص 434). وسيطلق عليه إقليم دمنش. وتسلم الفاطميون أمر ولاية صقلية بعد أن أصبحت إفريقية تحت سلطتهم سنة 297 هـ/909 م وصارت تابعة لهم. ومثلما فعلوا مع الزيريين في إفريقية سلموا ولاية صقلية إلى الأسرة الكلبية سنة 360 هـ/970 م لحكمها. وقد اعترف الفاطميون بحكم الكلبيين الوراثي منذ تولية أبي القاسم بن الحسن (360-365 هـ/970-975 م) (ابن الأثير، 1857، ص 248-249؛ Aziz, 1975, p. 31)، وتواصل تسييرهم لصقلية إلى سنة 444 هـ/1052 م. ثم دخلت صقلية في حرب أهلية وانقسمت إلى عدة إمارات مثلما حدث في الأندلس في عهد ملوك الطوائف إلى أن سقطت في يد النورمان سنة 484 هـ/1091 م.

2- الدين في ظل الحكم الإسلامي في صقلية:

عرفت صقلية خلال الحضور الإسلامي فترتين مختلفتين، الفترة الأولى حكم فيها الأغالبة وكان المذهب السني المالكي هو السائد في المجتمع، وقد تجذّر هذا المذهب بحكم التعليم والثقافة التي كانت تعم جميع أركان الجزيرة عن طريق علماء وفقهاء وقضاة. وحاول الفاطميون جاهدين بعد انتهاء عهد الأغالبة بصقلية وتسلمهم لها إرساء المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي ارتكزت عليه دعوتهم في المغرب. وقد تعرضوا إلى مقاومة كبيرة من طرف سكان صقلية الرافضين لهذا المذهب. وعرف السعي إلى إرساء هذا المذهب وفرضه مسارا طويلا. فلم يفلحوا في ذلك إلا في فترة الأسرة الكلبية. ولكن لم يكن غالبية المجتمع الصقلي خاضعا وقابلا لهذا المذهب مثلما كان الأمر في إفريقية.

وكان هناك في الحقيقة تداخل كبير بين ما هو ديني وما هو دنيوي في صقلية مثلما هو الشأن في بقية المناطق الإسلامية في العصر الوسيط. فلم يكن هناك فصل بين السياسي والديني، لأن النظام كان يعتمد في حكمه على الدين الإسلامي، الذي حاول نشره وإرساءه داخل هذا المجتمع المتعدد الديانات والثقافات.

إن علاقة الدين بالمجتمع في الفترة المدروسة هي علاقة الدولة بالمجتمع. فتسيير دواليب الدولة وتنظيم العلاقات داخلها كان خاضعا للدين رغم أنه في الظاهر كان هناك سلطة سياسية وسلطة دينية. لكن الأمر كان متشابكا ومتداخلا إلى حد بعيد. فالمرجعية الدينية كانت حاضرة في تنظيم العلاقات داخل المجتمع، بدءا بالحياة اليومية وممارسة الناس لمعتقداتهم وعاداتهم ونشاطهم الاقتصادي.

نادرة وقليلة معلوماتنا حول علاقة الدين بالمجتمع الصقلي، نظرا لشح المصادر وعدم إيلائها المسألة ما تستحقه. ويبقى كتاب الداودي أهم مصدر، رغم تعرضه لجزئية فقط في هذا المبحث. وأهميته تكمن في كونه عالما وفقيها مالكيا كتب خلال الفترة الفاطمية، فقد توفي سنة 402 هـ/1011 م. لكنه فيما يخص صقلية تطرق إلى مسألة وحيدة. هذا إضافة إلى ما كتبه الجغرافي العراقي ابن حوقل حول

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

صقلية. ونظرا لشح المصادر في هذا المبحث سنحاول أن نتمحص الإشارات التي وردت في المصادر الأدبية ونحللها باعتماد المنهج التاريخي ونقدها إن أمكن وتدعيمها بما اهتمت به الدراسات لمعرفة علاقة الدين بالمجتمع الصقلي.

1.2 - الدين عنصرا محفزا على الجهاد داخل صقلية وخارجها:

مثل الدين عنصرا روحيا محفزا على الجهاد في البحر المتوسط. وبدأ ذلك منذ إقرار العزم على التوجه نحو صقلية بقيادة أسد بن الفرات في حملة سنة 212 هـ/827 م. فقد حرّض أسد بن الفرات من ميناء سوسة الناس على دراسة الفقه الذي كان يمثل بالنسبة إليه مفتاح النجاح في الجهاد. فالجانب الروحي الديني هو الذي كان غالبا لدى المتطوعين من الجنود الذين رافقوا ابن الفرات. فأغلبهم كان يحدوهم النصر لأسباب روحية. فالإيمان كان يحرّك هؤلاء مثل المجاهدين الأوائل. وما طرح زيادة الله الأول قضية غزو الجزيرة على مجلس وجوه القيروان وفقهاها وطلب الموافقة من وجهة نظر الشرع إلا دليل على سيطرة الجانب الروحي في الجند المتوجه إلى صقلية. وقد تبلور هذا المنحى أكثر بعد أن وطئت قدم أسد وجيشه أرض الجزيرة. فالذي دفع الفقيه ابن الفرات لقيادة الجيش إنما حبه للشهادة ورغبته فيها. وتأكّد ذلك من خلال ما قام به عند ملاقاته جيش بلاطة وهو يحمل الراية في منتصف الطريق بين مازر وبلرم، حيث تلا الأدعية وسورة ياسين ثم حرّض رجاله على القتال (الطالبي، محمد، 1985، ص 460).

هذا إضافة إلى موقف أسد بن الفرات في الحادثة الشهيرة المتمثلة في المحنة التي حلت بالجيش عند حصاره لمدينة سرقوسة. فقد خلالها الجند المؤونة وأكلوا لحوم خيلهم وأصبحوا في وضع صعب وشعروا باليأس وعدم القدرة على مواصلة الحصار. فتوجهوا إلى الفقيه محمد بن قادم وهو تلميذ يحي بن سلام وأسد بن الفرات لمناقشة فشل العملية مع أسد وضرورة العودة إلى إفريقية بعد أن أصبح الجيش غير قادر على تحمل المحنة. ففرض ابن الفرات رأيه، وأجاب محمد بن قادم قائلا: لست من يوقف حملة شرع فيها المسلمون، و« في المسلمين خير كثير» (أبو العرب، د ت، ص 383) . ولم يتقبل الجيش هذا الرأي. فازداد غضبه. وهدد أسد بحرق المراكب وجلد ابن قادم. وهدأت الأمور بين الجند (الطالبي، محمد، 1985، ص 464-465). لكن هل تواصل ذلك عبر الفترات التاريخية؟

واصل الجند الإسلامي مسيرته قدما للسيطرة على الجزيرة بعد موت أسد بن الفرات رغم الظروف الصعبة التي مرّ بها واستعاد قواه وتحمسه بقيادة محمد بن الجواري (213-214 هـ/828-829 م)، ثم خلفه زهير بن غوث المهمة (214-215 هـ/829-830 م) وتعرض الجيش الأغلبي في هذه الفترة إلى صعوبات كبيرة، ولم يستعد قواه ومعنوياته إلا مع عثمان بن قرهب (215-217 هـ/830-832 م)، الذي تمكن من السيطرة على مدينة بلرم (ابن الأثير، 1857، ص 221-224؛ ابن عذاري، 1848-1851، ص 104؛ النويري، 2004، ص 428-430؛ ابن خلدون، 1857، ص 465-467؛ ابن أبي دينار، 1857، ص 526-527؛ الطالبي، محمد، 1985، ص 470؛ Amari, 1933-1939, p. 414). فازداد شعور الجند بالنخوة وبقوا أوفياء لخيارات أسد بن الفرات ومتحمسين للجهاد. لكن ستتوقف حركة الفتح لمدة سنتين نتيجة اضطراب الأوضاع الداخلية بصقلية وعدم رضا إفريقية بالغنائم التي وصلتها (ابن الأثير، 1857، ص 225). فقامت بتعويض عثمان بن قرهب بأبي الفهر محمد بن عبد الله بن الأغلب (217-220 هـ/832-835 م). وتم تعويضه في ظرف سنة بالفضل بن يعقوب (220-221 هـ/835-836 م) من طرف زيادة الله أمير إفريقية. وخلفه أبو الأغلب إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (221-236 هـ/835-851 م)، وقد دعّم الجيش بالعطايا سنة 224

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

هـ/838 م وجدّد العهد مع الحملات العسكرية داخل الجزيرة وتعدّى إلى الأراضي الإيطالية، خاصة قلورية (ابن الأثير، 1857، ص 228؛ (الطالبي، محمد، 1985، ص 481-493). وقد تغيّر الوضع وبدأت صقلية تعيش ضمن الإطار الروحي والزمني السائد في القيروان (الطالبي، محمد، 1985، ص 477). "فلم يعد ممثل الأمير في الجزيرة مجرّد قائد لجيش مقاتل يعيش عيشة المعسكرات المضنية ولم يعد رجاله من المقاتلين الذين كان يحرّكهم سحر الفوائد الروحية والدنوية المتمثلة في الجهاد" (الطالبي، محمد، 1985، ص 513). وسيهتم هذا الوالي بتركيز أسس ولاية صقلية ومؤسساتها.

2.2-إرساء نظام سياسي جديد داخل صقلية:

عند دخول الجيش الأغلبي إلى صقلية مع أسد بن الفرات كان قائد الجيش يجمع كل السلطات. وبرز ذلك من خلال الحوار الذي دار بين ابن الفرات وأمير إفريقية زيادة الله، حيث أشار المالكي في رياض النفوس إلى « أن زيادة الله لما ولّى أسد بن الفرات لغزو صقلية قال أسد: يعزلني ويولّيني الإمارة »، فردّ عليه زيادة الله فقال له: « إنّي لم أعزلك عن القضاء بل ولّيتك الإمارة وهي أشرف من القضاء وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاض أمير فخرج أسد على ذلك ولم يجتمع الإمارة والقضاء لأحد ببلد إفريقية إلا لأسد وحده » (المالكي، 1857، ص 183) . وتبلور ذلك رسميا وكتابيا وقانونيا، فقد سلّم زيادة الله أسد بن الفرات عهدا مكتوبا، حيث أشار المالكي إلى ذلك قائلا: « دخل زيادة الله بن الأغلب الأمير فخرج ومعه سجلان سجل منهما بولايته [يعني أسد بن الفرات] على صقلية أميرا وقاضيا» (المالكي، 1857، ص 186).

وتواصل هذا النهج إلى فترة أبي الفهر محمد بن عبد الله بن الأغلب (217-220 هـ/832-835 م) (الطالبي، محمد، 1985، ص 477). فإلى حد هذه الفترة كان الأمير أو الوالي يجمع بين القيادة العسكرية والسلطة التنفيذية والزمنية (السلطة السياسية)، لكن القضاء أصبح مؤسسة مستقلة بذاتها، وصار القاضي هو الذي يمارس السلطة القضائية والروحية. وبدأ الوضع يتطور داخل صقلية في عهد أبي الفهر محمد بن عبد الله، فقد أشار ابن عذاري إلى وفاة قاضي صقلية ابن أبي محرز سنة 221 هـ/836 م (ابن عذاري، 1848-1851، ص 106)، وهو الذي ضرب العملة باسم الأمير محمد بن عبد الله سنة 220 هـ/835 م (Al-'Ush, 1982, p. 102). وتواصل هذا الوضع إلى حدود فترة الوالي الفضل بن يعقوب (220-221 هـ/835-836 م)، الذي نصبه أمير إفريقية زيادة الله وقتيا لعمل صقلية (ابن الأثير، 1857، ص 225-226). فقد كان والي صقلية «يتمتع بحرية كبيرة»، فهو الذي يعلن الحرب ويقرر الصلح ويوزّع غنائم الحرب (Aziz,, 1975, p. 63) ويضرب السكة في صقلية باسمه واسم الأمير الأغلبي في إفريقية بين سنوات 214 هـ/830 م و220 هـ/836 م (العربي، 2016، ص 194).

وتم الفصل بين السلطة التنفيذية والقيادة العسكرية في عهد إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (221-236 هـ/835-851 م) (ابن الأثير، 1857، ص 226؛ ابن عذاري، 1848-1851، ص 105؛ ابن خلدون، 1857، ص 468)، لكن قائد الجيش كان يتم تعيينه من طرف الوالي، ويجب أن يكون شخصا يثق فيه ويتمتع بالكفاءة العسكرية. وهنا تحاكي صقلية نموذج إفريقية، فلم يكن هناك حاكم عسكري سياسي وآخر إداري جبائي (جعيط، هشام، 2004، ص 137). وعرفت صقلية تركيز مؤسساتها في هذه الفترة، فأصبح الوالي من الناحية التنظيمية ماسكا

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بالسلطة التنفيذية ورئيسا للإدارة ويقوم بتعيين الوظائف ومراقبة الدواوين ويشرف على بيت المال والجباية ويأمر بصرف الأموال مثلما كان الأمر في إفريقية. وصار للجيش قائد عسكري لقيادة جيش البر وقائد عسكري لقيادة جيش البحر. وبدأ القاضي يمارس السلطة القضائية والروحية (ابن الأثير، 1857، ص 226-231؛ ابن عذاري، 1848-1851، ص 106؛ أبو الفداء، 1857، ص 404؛ الطالبي، محمد، 1985، ص 513)).

وتم تركيز الإدارة الجهوية منذ الفترة الأغلبية وتواصل بها العمل خلال الفترتين الفاطمية والكلبية. وقد قسّمت ولاية صقلية إلى ثلاث كور (العربي، 2016، ص 195-227؛ ابن حوقل، 1992، ص 124)، الأولى تسمى إقليم مازر بالجزء الغربي للجزيرة وتتبعه جزيرة قوصرة، والثانية أطلق عليها إقليم نوطس بالركن الجنوبي الشرقي للجزيرة وتنتمي إليه جزيرة مالطة، والثالثة إقليم دمنش بالركن الشمالي الشرقي للجزيرة. وكل كورة أو إقليم يضم عدة مدن، ويمثل إدارة مدنية جبائية ويشرف عليها عامل. فكان في كل مدينة عامل يسيرها (النويري، 2004، ص 428-441؛ المقريزي، 1991، ص 173). وعرفت المدن الصقلية مثل إفريقية هيئات بلدية، ويطلق على كل هيئة "الجماعة" وينتمي إليها الأعيان والشيوخ، وعادة ما تضم رؤساء العائلات النبيلة والفقهاء والموسرين ووجوه أرباب الصنائع. وكان دورهم يتمثل في المساهمة بالمال أو بالعمل لإنشاء وإصلاح الصهاريج والآبار والمساجد. كما تساعد "الجماعة" المعوزين من المسافرين (Lagardère, 1993, p. 87-182 ; Aziz, 1975, p. 64 ; Amari, 1933-1939, II, p. 14 ; Abdul-Wahab, 1905, p. 8 ; Lafi, 2004, p. 4).

وأنشئت الدواوين مثلما كان معمولا به في إفريقية الأغلبية، مثل ديوان الجند الذي كان يوزع العطاء وإحصاء الجنود (ابن الأثير، 1857، ص 228)، وأصبح يعرف بديوان الجيوش والرواتب في العهد الفاطمي (المقريزي، 1987، ص 401). وأشار ابن حوقل إلى ديوان الخمس (حوقل، *صورة*، ص 124)[2]، وقد وجد منذ الفترة الأغلبية وتواصل في الفترة الفاطمية والكلبية (مجهول، *تاريخ*، ص 168). وذكر الداودي ديوان الخراج (الداودي، *الأموال*، 417-420؛ ابن الأثير، 1857، ص 257؛ النويري، 2004، ج 24، ص 207؛ Nef, 2008, p. 68)[3]. وكان المسلمون يقدمون الصدقات والزكاة إلى هذا الديوان. أما المسيحيون الذين أسلموا فكانوا يدفعون الضريبة العشرية، وقد عمم الأمير الكلبي جعفر هذه الضريبة سنة 410 هـ على كامل السكان (النويري، 2004، ج 24، ص 207)[4]. ونذكر أيضا ديوان الرسائل وديوان الطراز. وقد حافظ الفاطميون على

2 - الخُمس هي ضريبة تدفع على الأراضي الفَيْ. ويجمع ديوان الخمس هذه الضريبة. وقد أشار إليها ابن حوقل عند ما تحدث عن الموارد المالية لصقلية.

3 - الخراج هي ضريبة عقارية يدفعها أهل الذمة على الأرض، لكن أحد الأمراء الكلبيين وهو أحمد بن أبي الفتوح يوسف المعروف بالأكحل فرضها على جزء من السكان المسلمين والذين كان يطلق عليهم الصقليين، أينذكر منها قمع سالم بن راشد لأهل بلرم وجرجنت عندما ثاروا عليه سنة 325 هـ/937 م. سكان صقلية الذين أسلموا. فقد جمع هذا الأمير أهل صقلية وقال لهم:" أحبّ أن أفرغكم من الإفريقيين الذين قد شاركوكم في بلادكم والرأي إخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا، فصرفهم ثم أرسل إلى الإفريقيين فقال لهم مثل ذلك، فأجابوه إلى ما أراد، فجمعهم حوله فكان يحمي أملاكهم ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية. فسار من أهل صقلية جماعة إلى المعز بن باديس وشكوا إليه ما حلّ بهم وقالوا نحبّ أن نكون في طاعتك وإلاّ سلّمنا البلاد إلى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة" كما ذكر كل من ابن الأثير والنويري.

4 - فقد ذكر النويري ما يلي: "كان سبب ذلك أنه ولى عليهم كاتبه حسن بن محمد الباغاتي فصادر الناس وعاملهم بسوء وأشار على جعفر أن يأخذ من صقلية الأعشار من طعامهم وثمارهم على عادة البلاد ولم تجر لهم بذلك عادة وإنما كانت العادة أن يؤخذ على زوج البقر شيء معلوم و لو أصاب ما أصاب". وزوج البقر يعادل بذر 30 مُدّا، حوالي 7.5 صاع، والمُدُّ بالضم مكيال وهو رطل والصاع أربعة أمداد والمدّ ربع صاع حسب ابن منظور. انظر ابن منظور، 1882، ج 3، ص 400. حول زوج البقر انظر Cusa, 1860-1882, II , p. 215. وقد أشارت جرائد صقلية إلى أن بذر 900 مُدّا يعادل 30 ماشية، وبالتالي المُدّ يساوي 0.03 ماشية أي قرابة ربع صاع.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

نفس المؤسسات، ولكن غيروا أسماء بعض الدواوين، فأصبح ديوان الرسائل يسمى ديوان الإنشاء وأصبح ديوان الجند يسمى ديوان الجيش.

ومن أهم المؤسسات التي وجدت بولاية صقلية أيضا دار الضرب وبيت المال ودار الرزق (العربي، 2016، ص 216؛ جعيط، 2004، ص 90؛ Ben Romdhane , 2008, II, p. 577-579)[5]. وحظيت مؤسسة القضاء بأهمية كبيرة لما لها من دور فعال داخل المجتمع، وكان القضاء وظيفة إدارية. وكانت المهام العدلية مقسمة بين القاضي والأمير أو الوالي مثلما كان في إفريقية (جعيط، 2004، ص 122). فينظر الوالي في القضايا السياسية مثل التمرّد وعدم الخضوع للسلطة وقضايا الدماء. ويتولى القاضي البت في القضايا المدنية كالزواج والطلاق والميراث (ابن حوقل، 1992، ص 119). ويفوض القاضي من طرف الوالي. ويبدو أن القاضي كان يعين من طرف الأمراء الأغالبة بإفريقية ثم من طرف الخلفاء الفاطميين في الفترة الفاطمية والكلبية في صقلية. وللوالي وظيفة قانونية تكون بصفة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الشرطة أو القاضي، فهو الذي ينظر في القضايا الإجرامية، وهو الذي يقرر الإعدام والقتل (العربي، 2016، ص 215)، وقد ذكر لنا ابن الأثير وابن خلدون عديد الأمثلة خلال الفترة الفاطمية (ابن الأثير، 1857، ص 256؛ ابن خلدون، 1857، ص 478-479)[6].

وتم الاعتماد على القرآن والسنّة والفقه من طرف القضاة عند البت في القضايا خلال الفترة الأغلبية (المالكي، 1857، ص 181). وقد اعتمد القضاة على المذهب الحنفي المالكي مثل إفريقية، وقد دخل هذا المذهب إلى صقلية مع أسد بن الفرات. وذكر المقدسي أن أكثر أهل صقلية حنفيون (المقدسي، 1909، ص 57؛ Nef , 2004, p. 455). ثم بدأ المذهب السنّي المالكي ينتشر في صقلية. وتشبع أغلب الفقهاء ورجال الدين بمدونة سحنون وموطأ مالك كما أشار إلى ذلك القلقشندي والقاضي عياض (القلقشندي، 1857، ص 5؛ عياض، 1998، ص 380؛ Rizzitano, 1979, p. 202-203). وتدعّم هذا المذهب خلال الفترة الكلبية[7].

كذلك انتشر المذهب الشيعي الإسماعيلي في صقلية منذ الفترة الفاطمية عن طريق رجال خدموا الدعوة الشيعية[8]. واعتمده القضاة في أحكامهم القضائية.

---

5 - تعتبر دار الضرب من أهم المؤسسات، وقد بعثت في فترة الأمير الأغلبي محمد بن عبد الله بن الأغلب (217-220 هـ/832-835 م) في العاصمة بلرم. ويشرف عليها مسؤول يختاره الأمير أو وزيره بمساعدة معاونين. ويعمل مسؤول دار الضرب على تطبيق قرارات السلطة. أما بيت المال فكان يشرف عليها موظف يعينه الوالي ويخضع لمراقبته. كذلك دار الرزق يتولى أمرها مسؤول يعينه الوالي ويقوم بتوزيع الأرزاق من الحبوب على الجنود وعائلاتهم عند الخروج إلى الحرب.

6 - نذكر منها قمع سالم بن راشد لأهل بلرم وجرجنت عندما ثاروا عليه سنة 325 هـ/937 م.

7 - وقد تم من خلال كتب الفقه التي كانت تصل من إفريقية وبعض الفقهاء الذين تم نفيهم من إفريقية إلى صقلية مثل أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبرادعي الذي خالف الفاطميين في نهاية القرن 10 م، فانتقل من القيروان إلى بلرم وحمل معه كتابه الشرح والتمامات لمسائل المدونة. وقد استفاد منه عدد من فقهاء صقلية مثل ابن الحكّار وابن مفرّج. وإن تركز المذهب المالكي وتواصله خلال الفترة الكلبية برز من خلال موقف ابن حوقل الشيعي المذهب الذي كان متحاملا على علماء وفقهاء صقلية وخاصة القضاة. وزاد في تحقيرهم وقلّة معرفتهم وجهلهم في أصول العلوم الشرعية، وهودليل على تجذّر المذهب المالكي وعزوف السكان والعلماء على المذهب الشيعي.

8 - الذين استفادوا من الفقه الشيعي الذي ظهر مع كتاب القاضي النعمان "دعائم الإسلام" الذي ألفه بطلب من الخليفة المعز لدين الله. وأصبح هذا الكتاب من أهم ركائز الفقه الشيعي، وتعرض فيه إلى الدعائم السبعة "التي بني عليها الإسلام في نظر الإمام جعفر الصادق".انظر مقدمة كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان، ص 14. ولعب رجال كتامة الذين رافقوا الأمير الحسن بن أحمد بن خنزير الكتامي الأصل الذي ولاه عبيد الله المهدي على صقلية دور في نشر الدعوة الفاطمية. ومن بين القضاة

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

3.2- تعليم الدين الإسلامي وترسيخ قيم الحضارة الإسلامية:

بعد أن عوّض الإسلام المسيحية أصبح الدين الإسلامي الديانة الرسمية لولاية صقلية، وعرفت صقلية بتعدد مساجدها ومدارس تعليم الدين الجديد. وقد عجّت العاصمة بلرم بعدد كبير منها كما وصفها الجغرافي العراقي ابن حوقل (ابن حوقل، 1992، ص 119-120).

1.3.2- تجذير اللغة العربية من أجل تعريب المجتمع وأسلمته:

بعد السيطرة على صقلية وتنظيم الولاية الجديدة وتدوين الدواوين تم الاهتمام بترسيخ اللغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية للدولة فعوّضت بالتالي اللغة الإغريقية التي كانت سائدة في العهد البيزنطي. وبدأ عدد من السكان الخاضعين يتقبلون الواقع الجديد بتعلّم اللغة، وهي لغة المعاملات اليومية للمجتمع ولغة الدولة. وحرص الحكام الجدد على تدريس اللغة العربية وإيلائها الأهمية الكبرى، لأن عبرها سيتم ترسيخ الدين الإسلامي وقيم الحضارة الإسلامية داخل العناصر التي خضعت للسلطة وقبلت بالعيش داخل المجتمع الإسلامي.

وكان لعديد اللغويين والنحويين وأهل الأدب والفكر والشعر الذين عجّت بهم صقلية دور مهم في نشر اللغة العربية بين السكان. وكان تأثيرهم كبيرا، حتى أن عديد العناصر الإغريقية تعرّبت وأصبحت تتكلم اللغة العربية وتكتب بها (Johns, 1988, p. 74)، وأحسن مثال على ذلك كتاب تاريخ صقلية لمجهول وقد كتب نسختين، نسخة عربية ونسخة إغريقية. وكانت النسخة العربية أفضل بكثير من حيث ثراء المعلومات والأحداث من النسخة الإغريقية (Nef, 2008, p. 62). وتعلّم عدد كبير من الروم اللغة العربية واعتنقوا الإسلام واندمجوا في المجتمع. وأصبح يطلق عليهم الصقليين في مقابل الأفارقة القادمين من إفريقية (ابن الأثير، 1857، ص 257؛ النويري، 2004، ج 24، ص 207).

ومثلت صقلية قبلة لعديد العلماء والفقهاء والمبدعين الذين استقروا بها وساهموا بكتاباتهم في نشر الأدب والشعر وتعاليم الدين الإسلامي عبر الدروس التي كانت تلقى في جميع أرجاء الولاية. فقد حاكت بلرم عاصمة صقلية القيروان وأصبحت منارة لنشر العلم والأدب واللغة العربية في جزيرة صقلية وأشعت على جزيرتي قوصرة ومالطة ثم على جنوب إيطاليا.

وكانت صقلية تنظر إلى إفريقية أولا وتستلهم منها، لأنها تعتبر المثال والمرجع، لأن ولاية صقلية كانت تابعة للأغالبة في البداية ثم للفاطميين في مرحلة ثانية حتى بعد انتقالهم إلى مصر سنة 361 هـ/ 972 م. ثم تنظر إلى الأندلس والمشرق، إلى الأندلس لأن عديد العناصر وفدت إليها عبر الفترات التاريخية، وإلى المشرق خاصة بعد انتقال الفاطميين إلى مصر وتأسيسهم للقاهرة التي أصبحت تشع بدورها على صقلية خاصة خلال حكم الكلبيين.

الذين اعتمدوا على المذهب الشيعي في أحكامهم نذكر إسحاق بن المنهال وهو أول قاض للفاطميين في صقلية في عهد المهدي تولّى قضاء صقلية سنة 297 هـ/909 م عندما استعمل عبيد الله المهدي الحسن بن أحمد بن أبي خنزير على ولاية صقلية. كذلك القاضي أبو الفضل الحسن بن إبراهيم الشامي الكناني الذي تولّى قضاء صقلية خلال الفترة الكلبية. انظر ابن القطاع، 1995، ص 58؛ 1986، *خريدة*، ص 99.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وكان الأمير أو الوالي الصقلي هو المسؤول الأول عن نشر الدين الإسلامي ويعتبر ممثل إمام المسلمين، فهو الذي يؤم الجماعة عند القيام بالصلاة في الجامع في العاصمة بلرم[9].

4.2- مكونات المجتمع التي أفرزها الدين الجديد:

كان المجتمع الصقلي مثل بقية المجتمعات الإسلامية في إفريقية والأندلس والمشرق مقسما إلى فئات مختلفة، رغم ما جاء به الدين الإسلامي من مبادئ وقيم حضارية جديدة تدعو إلى التحرر والانعتاق.

نجد في مقدمة هذه الفئات أهل السلطة من ولاة ووزراء وعمال وكبار موظفي الدولة. نذكر أيضا شرائح محظوظة داخل المجتمع مثل قادة الجند والذين تولوا مناصب في السلطة مثل منصب العامل والقائد والحاجب. وكان عدد منهم من الموالي[10]. منهم من له ولاء للعرب أو البربر. فقد أورد ابن الأثير أن المعز لدين الله عيّن سنة 359 هـ/969 م يعيش مولى الحسن بن علي بن أبي الحسن واليا على صقلية قبل انتقال الفاطميين إلى القاهرة (ابن الأثير، 1857، ص 266-267).

ونذكر أيضا أهل العلم والبصائر، ولهم أصول متنوعة. وقد عجت صقلية بعدد كبير منهم وكان لهم تأثير كبير في المجتمع. وأغلبهم من الوافدين من إفريقية وعلى رأسهم أسد بن الفرات قائد الحملة على صقلية والفقيه محمد بن قادم، الذي رافق الجيش الذي توجه إلى الجزيرة. ونذكر أيضا أحمد بن أبي محرز، الذي تولى قضاء صقلية سنة 221 هـ/836 م، وهو الذي ضرب العملة باسمه واسم الأمير أبي الفهر محمد بن عبد الله بن الأغلب (Al-'Ush, 1982, p. 102 ; Ben Romdhane , 2008, I, p. 27 ; Lavoix , 1887-91, Vol II, p. XXXIX ; Spaher, 1976, p. 103). هذا إضافة إلى سليمان بن سالم الذي تولى قضاء صقلية حتى وفاته (من 281-289 هـ/894-902 م) في عهد الأغالبة. وإسحاق بن المنهال (ابن الأثير، 1857، ص 251) وعددهم كبير (العربي، 2016، ص 250-256).

ويضم المجتمع الصقلي فئة كبار التجار والملاكين العقاريين والفئات الوسطى من تجار وحرفيين.

نذكر أيضا الموالي وقد اعتمد عليهم الأغالبة حتى في جيش إفريقية ذاتها. فهم فئة من العبيد المعتوقين الذين كان الاغالبة يثقون فيهم ويعولون عليهم في حراستهم والقيام بالمهمات الصعبة. وأصولهم مختلفة منهم السود من جنوب الصحراء ومنهم من البيض من الضفة الشمالية للمتوسط.

ونجد العبيد ولهم أصول متعددة منهم الصقالبة والروم والرقيق السود. ومثّل العبيد عنصرا هاما في الجيش الصقلي منذ الفترة الأغلبية مثلما كان معمولا به في إفريقية. ورافقت أعداد منهم جيش أسد بن الفرات إلى صقلية. فالأغالبة كانوا يثقون كثيرا في عبيدهم وخاصة

9 - فقد أشار ابن الأثير إلى أن الوالي العباس بن الفضل عندما فتح مدينة قصرياني بنى فيها مسجدا ونصب فيه منبرا وخطب خطبة الجمعة. انظر ابن الأثير، 1857، ص 233.

10 - ينقسمون إلى موالي عتاقة وموالي حلف. الفئة الأولى كانوا عبيدا وتم تحريرهم وأصبح لهم ولاء لأسيادهم القدامى، وهذه الرابطة فيها حقوق وواجبات للطرفين. الفئة الثانية هم موالي حلف الذين تركوا مجموعاتهم الأصلية وأصبح لهم ولاء للعرب والبربر.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

السود منهم، لإخلاصهم لهم. وكانوا يشكلون العدد الأكبر في وحدات الحرس الأغلبي إلى جانب الموالي (الطالبي، 1985، ص 536). ويتم تكليفهم إلى جانب الجيش بالمهمات الصعبة مثل القضاء على الانتفاضات ضد السلطة[11]. وقد تواصل هذا التمشي خلال الفترة الفاطمية (297-360هـ/909 -970 م) وحكم الكلبيين لصقلية، فقد ذكر لنا ابن الأثير أن الثورة التي قام بها علي ضد أخيه جعفر كانت بدعم من البربر والعبيد. وعلي وجعفر هما ابنا أبي الفتوح يوسف الذي أقعده الفالج سنة 388 هـ/998 م وولى ابنه جعفر مكانه (386-412 هـ/996-1021 م) (ابن الأثير، 1857، ص 274؛ Amari, 1933-1939, II, p. 405-411).

وتأتي في الأخير الفئات السفلى من باعة وصغار الحرفيين والمزارعين والعمال الزراعيين والعاطلين والمهمشين الذي أشار إليهم ابن حوقل (ابن حوقل، 1992، ص 123-124) [12].

3- علاقة الدين الإسلامي بالأقليات:

1.3- ترسخ الإسلام بالجزيرة وتعويضه للمسيحية:

كانت الديانة المسيحية هي السائدة بصقلية في العهد البيزنطي. وكانت الجزيرة تعج بالكنائس والأديرة. وكان المجتمع يخضع في نمط حياته وعاداته وتقاليده لتعاليم الكنيسة وقوانينها المتأتية من المسيحية.

فقد حاربت المسيحية في صقلية بشكل جذري كل أشكال الدين الأخرى، من وثنية وغنوصية ومانوية. وحتى التسامح بين الأشكال المختلفة للمسيحية كان لا يتم إلا بإذن من الدولة بعد سنة 451 م، مثلما هو الحال مع الدوناتيين. بينما تم إقصاء المونوفيزيين (القائلون بالطبيعة الواحدة). لكن دخول الإسلام لصقلية سوف يقضي على ممارسات المسيحية الأرتدوكسية ويطرح إمكانية التعايش مع الديانات الأخرى مثل المسيحية واليهودية. فقد أبدى الإسلام تسامحا مع أهل الكتاب من مسيحيين ويهود(Engels, 2013, p. 9) .

2.3-المسيحيون:

احتفظ الروم خلال الحكم الإسلامي بعاداتهم ومعتقداتهم كما يذكر الراهب الدومينيكي كورداين من كنيسة القديسة كاترينة ببلرم فيقول: « أن الرهبان كانوا يخرجون مرتدين ثيابهم التقليدية الدينية، ويذهبون كذلك يحملون إلى المرضى طقوس الدين »، أما الراهب موركولي فقد ذكر قصة الحفلات الدينية في مدينة مسّينة فقال: « كان المسيحيون في أعيادهم يحملون علمين: علما أخضر اللون وفي

11 - وهو نفس التمشي الذي كان في إفريقية. نذكر مثلا مشاركتهم ضمن الجيش الأغلبي ضد انتفاضة منصور بن نصر الطنبذي بتونس سنة 209 هـ/824 م وانتفاضة عامر بن نافع بسبيبة سنة 210 هـ/825 م.

12 - وقد أشار ابن حوقل خلال عهد الكلبيين إلى "أن مال صقلية وقتنا هذا وهو أجلّ أوقاتها وأكثره وأغزره بأجمعه من سائر وجوهه وقوانينه خمسها ومستغلاّتها، ومال اللطف والجوالي على الجماجم". وعبّر عن هذه الفئة قائلا: "وأما حال يسارهم فإنهم مع قلة مؤنهم ونزور نفقاتهم وكثرة غلاّتهم ليس فيهم رجل ملك بدرة عين، ولا رآها قط إلا عند سلطان".

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وسطه برج أسود، وهو علم المسلمين؛ وعلما أحمر في وسطه صليب ذهبي هو علم النصارى » (المدني، د ت، ص 186؛ Abdul-Wahab, 1905, p.8).

وكان أهل الذمة غير المسلمين من مسيحيين يدفعون الجزية مقابل ضمان حمايتهم. كما يدفعون أيضا ضريبة ثانية على انتاج الأرض وهي الخراج. وسمح لهم بالحفاظ على الثقافة والعادات كما هو الحال في بقية مناطق العالم الإسلامي. وكان لديهم مسؤولون يشرفون على أفراد سلالتهم ويخدمونهم. وأكثر من ذلك كان لإبراهيم الثاني والي صقلية أشخاص مسيحيون اعتمد عليهم، منهم أمين مال دار الضرب وجامع الضرائب (Bresc, 2002, p. 2).

فالذي حدث في صقلية يختلف عما وجد في الشرق وحتى عن الذي كان موجودا في إفريقية. فلم يكن هناك تأييد وخضوع للغزاة في صقلية كما هو الحال في الشرق، ولا مقاومة باسم اسلام مختلف كما هو الحال في المغرب البربري المتحالف مع الخوارج (Bresc, 2002, p. 2).

فقد ذكر لنا ابن حوقل أن هناك من الروم من اختلط بالمسلمين وتزاوجوا فيما بينهم، خاصة الذين يقطنون الحصون والبوادي والضياع، وأطلق عليهم ابن حوقل في صقلية تسمية "المشعمذون". "رأيهم التزويج إلى النصارى على أن ما كان بينهم من ولد ذكر لحق بأبيه من المشعمذين. وما كانت من أنثى فنصرانية مع أمها، لا يصلّون ولا يتطهرون ولا يزكّون ولا يحجّون. وفيهم من يصوم شهر رمضان ويغتسلون إذا صاموا من الجنابة، وهذه منقبة لا يشركهم فيها أحد وفضيلة دون جميع الخلق، أحرزوا بها في الجهل قصب السبق" (ابن حوقل، 1992، ص 123). وأكد الجغرافي العراقي أن هذا المثال خاص بجزيرة صقلية، فلا يوجد مثيل له في بلاد الإسلام ولا في دين من الأديان (ابن حوقل، 1992، ص 123).

هذه الظاهرة تبرز نوعا من التعايش والتسامح بين المسلمين والمسيحيين لم نعهدها في المناطق الإسلامية. فالتقاليد الصقلية المحلية عرفت نوعا من الاندماج الطوعي وتجاوزت النظام السياسي الذي كان في جوهره دينيا. ويبدو أن السلطة في حد ذاتها كانت تغض الطرف عن هذه العادات والتقاليد، لذلك اعتبرت جزيرة صقلية نموذجا فريدا من نوعه في غرب المتوسط وفي العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط.

لكن للأسف معلومات المصادر وخاصة كتب الحوليات لم تول أهمية للمسألة الدينية في بداية حكم المسلمين لصقلية. وكان اهتمامها أكثر بحركة الفتح والجانب العسكري والمعارك التي خاضها الجيش الإسلامي للسيطرة على الجزيرة. وحتى الروايات المسيحية التي وصلت إلينا لا يعتد بها لأن فيها انحيازا ورفضا للسيطرة الإسلامية. وقد حاولت هذه الروايات التركيز على شراسة خصمها خوفا من خطر الرق من طرف المسيحيين الذين تمسكوا بديانتهم، وخاصة رواية المسيحيين الذين خضعوا للوافد الجديد طواعية أو كرها، والذين احتفظوا بدرجة كبيرة من الاستقلال الداخلي وخضعوا لدفع الجزية. هؤلاء تطلق عليهم تسمية المسيحيين الأحرار وكانوا

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

يعيشون في إطار مجموعة طائفية خاضعة لحكم المسلمين. يبدو أنهم عاشوا دون أي ضغط أو اضطهاد في مقابل دفعهم الجزية كضمان لسلامتهم الشخصية ودفع الخراج كضمان لحيازة ممتلكاتهم (Engels, 2013, p. 10).

وكان المسيحيون ممنوعين من الدعوة إلى المسيحية والولوج إلى أي منصب سياسي، إلا في حالة اعتناق الإسلام مع بعض الاستثناءات التي حدثت خاصة في فترة إبراهيم الثاني والي صقلية الذي كان لديه أشخاص مسيحيون اعتمد عليهم، منهم أمين مال دار الضرب وجامع الضرائب (Bresc, 2002, p. 2 ; Engels, 2013, p. 10).

وتمتع المسيحيون بقضاء خاص بهم وبحماية أحيائهم وممتلكاتهم. ولم يتعرضوا للاضطهاد إلا في مناسبة معزولة في عهد الوالي أحمد بن الحسين بن رباح الذي خلعه أهل صقلية سنة 909 م وتم تعويضه بعلي بن محمد بن الفوارس. ولكن هذه المعلومة وردت في مصدر مسيحي لمجهول في كتابه تاريخ صقلية. ويبدو أن المعلومة مشكوك فيها فلم ترد في أي مصدر آخر. وحتى إن وقع ذلك فيمكن أن يكون مجرد رد فعل على أعمال استفزازية (Engels, 2013, p. 10).

وساهم انتشار الثقافة العربية الإسلامية والتسامح الديني وانخفاض الضريبة على الأراضي غير المستغلة مقارنة بالفترة البيزنطية في دخول عدد كبير من العبيد وعدد من المسيحيين من فئة صغار المزارعين إلى الإسلام في المناطق الريفية بإقليم مازر غرب الجزيرة. وقد انتشرت هذه الظاهرة في المشرق. وازدادت تركيزا خلال الفترة الفاطمية والكلبية، في الوقت الذي تضاعفت فيه الدعوة للمذهب الشيعي الإسماعيلي باتباع سياسة التسامح وتوفير الأمن للمسيحيين. وحاول الكلبيون التسريع في أسلمة المسيحيين بتكثيف توزيع أراضي المسيحيين الموجودة بإقليمي نوطس ودمنش (Engels, 2013, p. 10-11).

3.3-اليهود:

مثل بقية اليهود الذين كانوا يعيشون داخل العالم الإسلامي في العصر الوسيط، كان يهود صقلية يتكلمون العربية ويكتبونها بحروف عبرية ويدرسون كتابهم المقدس التوراة بلغتهم الأم العبرية. ورغم اعتبارهم في درجة أسفل داخل المجتمع فإنهم كانوا يتمتعون باستقلال إداري وقضائي، فهم يخضعون إلى القوانين الخاصة بهم. ولهم الحق في ممارسة الوظائف والتجارة. وكانوا يتمتعون بحرية ممارسة عقائدهم وتعليمهم. وكانوا يقطنون المدن ولهم أحياء خاصة بهم داخل المدن مثلما هو الحال في العاصمة بلرم (Miller, 2003, p. 8) ومدن مازر وسرقوسة وطرابنش ومسينة ورغوص (Simonsohn, 1992, p. 16 ; A. Nef, 2007, p. 278)، وكذلك في مدينتي مالطة وقوصرة وفي أريافهما (Sammut, 1978, p. 304; Luttrell, 1975, p. 38 ; Bresc, 1994, p. 65.)[13].

13 - كان من بينهم أطباء مثل سافاردي ابراهام، طبيب الجزر ورئيس هذه المهنة التي كان يحتكرها يهود مالطة في ذلك الوقت، وآخرون أصحاب أراضي زراعية ووكلاء تصدير وهناك من امتهن مهنة الصرف، في حين كان أغلبهم أصحاب محلات وتجار متجولين. وكان عدد اليهود يصل إلى 25 عائلة بجزيرة مالطة وحوالي 8 عائلات بجزيرة غودش سنة 1240 م من خلال الأرقام التي أوردها آبّ ات جيلبرتو (Abbate Gilberto). ووصل عددهم بجزيرة قوصرة إلى 43 عائلة سنة 1444.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وكان اليهود يعتبرون من أهل الذمة مثل المسيحيين، يدفعون الجزية مقابل ضمان حمايتهم. كما يدفعون أيضا ضريبة ثانية على انتاج الأرض وهي الخراج.

وتبيّن وثائق الجنيزة بالقاهرة التي وجدت بكنيس بن عازرا، وخاصة المراسلات التجارية المؤرخة في القرن 5 هـ/11 م حرية اليهود في صقلية في ممارسة التجارة، هذا النشاط الذي اشتهروا به خلال العصر الوسيط بين صقلية وإفريقية ومصر. وكانت هذه الرسائل تكتب باللغة العربية وهي لغة دار الإسلام، فهي تنقل حرفيا بحروف عبرية. وكان هناك كتاب مختصين يعملون لصالح التجار، عدد منهم يتقنون الكتابة بالعربية (Nef, 2007, p. 282 ; Bresc, 2001, p. 14-16). وقد لعبت اللغة العربية دورا مهما إلى جانب التعامل بين اليهود والمسلمين داخل المجتمع مما أدّى إلى نوع من التثاقف، وبيّنت إحدى المراسلات الخاصة في وثائق الجنيزة نموذجا منه تمثل في إقامة أحد يهود مدينة مازر زواجا على الطريقة العربية مع فتاة من أقاربه بمدينة عدن اليمنية (Bresc, 2001, p. 16). وأصبح عدد منهم يلقبون بألقاب مثل المسلمين، نذكر منهم على سبيل المثال يعقوب بن إسماعيل الأندلسي وسحنون بن داود الصقلي وخلّوف بن موسى الحموي وحيّيم بن عمار. وكانوا يمارسون تجارتهم في إطار شراكة مع عدد من المسلمين، خاصة في تجارة الزيت بين إفريقية وصقلية (Bresc, 2001, p. 17-21).

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا العمل هي التالية:

أن علاقة الدين بالمجتمع الصقلي هي علاقة الدولة بالمجتمع. ورغم وجود سلطة دينية وسلطة سياسية فالتداخل كان حاضرا إلى حد بعيد. فالمرجعية الدينية هي التي كانت مهيمنة على تنظيم العلاقات المجتمعية من حياة يومية وممارسة المعتقدات والعادات والنشاط الاقتصادي.

وقد تمكّن الأفارقة نسبة إلى إفريقية من تعليم السكان المحليين اللغة العربية وعبرها تم ترسيخ تعاليم الإسلام وقيم الحضارة الإسلامية. واعتنق عدد كبير من الإغريق الإسلام واندمجوا في المجتمع. وأصبح يطلق عليهم الصقليين في مقابل الأفارقة القادمين من إفريقية.

وقد غيّر الدين الإسلامي المجتمع الصقلي في نمط حياته وعاداته وتقاليده التي كانت خاضعة لتعاليم الكنيسة وقوانينها المتأتية من المسيحية. وقضى الإسلام على ممارسات المسيحية الأرتدوكسية وأرسى التعايش مع الديانات الأخرى. وأبدى نوعا من التسامح مع المسيحيين واليهود. وسمح لهم بممارسة عاداتهم ومعتقداتهم مثلما كان معمولا به في بقية المناطق الإسلامية. واختلط عدد من المسيحيين بالمسلمين وتزاوجوا فيما بينهم خاصة في الأرياف، وأصبح يطلق عليهم "المشعمذون"، وهي ظاهرة خاصة بصقلية. وحدث نوع من الاندماج. وهناك عدد آخر من المسيحيين تمسّكوا بديانتهم وخضعوا لدفع الجزية كضمان لسلامتهم الشخصية ودفع الخراج كضمان لحيازة ممتلكاتهم. وعاشوا دون ضغط أو اضطهاد.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وكان اليهود يتمتعون باستقلال إداري وقضائي مثل المسيحيين وممارسة عقائدهم وتعليمهم. وخضعوا إلى قوانين خاصة. وكان لهم الحق في ممارسة الوظائف والتجارة. واعتبروا من أهل الذمة مثل المسيحيين، وكانوا يدفعون الجزية مقابل حمايتهم وضريبة الخراج على انتاج الأرض.

ولم تكن علاقة الدين بالمجتمع علاقة سكونية عقائدية متشددة بل كانت علاقة فرضها الواقع الصقلي والعناصر المتعددة الأصول والأعراق والديانات والثقافات. فقد حاكت صقلية إفريقية في العام وأخذت من كل شيء بطرف من بقية المناطق مثل الأندلس والمغرب ومصر والمشرق. ولكن كانت لصقلية خصوصية محلية تمظهرت في طبيعة المجتمع الصقلي نحتتها العناصر التي كانت تكوّنه في علاقة بالسلطة. هذه السلطة التي كانت أحيانا متشددة في جوانب مثل فرض الضرائب ولكنها كانت في جوانب أخرى تغض الطرف فيما يخص العلاقات الاجتماعية مثل ظاهرة زواج عدد من المسلمين بمسيحيات.

وتمكن المسلمون الأفارقة من تغيير التنظيم الاجتماعي الذي كان سائدا في الفترة البيزنطية خاصة من ناحية نمط العيش والعلاقات بين أفراد المجتمع وعلاقات الإنتاج وطرقها وملكية الأرض. واستأنسوا في الحقل الحضري بما كان سائدا قبلهم مثل الهيئات البلدية التي أطلقوا عليها ما يعرف بـ"الجماعة".

ومثلت صقلية نموذجا فريدا من نوعه فيما يخص علاقة الدين بالمجتمع. فقد كان لتنوع عناصر هذا المجتمع من مسلمين متعددي الأصول الجغرافية من إفريقية والمغرب والأندلس ومصر والمشرق إضافة إلى المسيحيين واليهود دور كبير في التثاقف والتلاقح الحضاري والتسامح الذي برز بين الأفراد والجماعات. فصار نوعا من الانصهار والاندماج أحيانا خاصة بين عدد من المسلمين والمسيحيين.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

المصادروالمراجع

- ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم. ت بعد 1690/1110. (1857). المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. المكتبة العربية الصقلية لميخائيل أماري. مكتبة المثنى ببغداد. ليبسك.
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني. ت 1232/630. (1857). الكامل في التاريخ. المكتبة العربية الصقلية لميخائيل أماري. مكتبة المثنى ببغداد. ليبسك.
- ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي. ت 515 هـ/1121 م). (1995). الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة "جزيرة صقلية". تحقيق بشير البكوش. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي. ت بعد 977/367. (1992). صورة الأرض. دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. بيروت.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان. ت 1406/808. (1857). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. المكتبة العربية الصقلية، لميكال أماري. مكتبة المثنى بغداد. ليبسيك.
- ابن عذاري، عبد الله بن محمد المراكشي. ت 1306/706. (1848-1851). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. الجزء الأول. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال. دار الثقافة. بيروت- لبنان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري. ت 1311/711. (1882) لسان العرب. 15 جزءا. دار صادر. بيروت.
- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم. طبقات علماء إفريقية. ت 333 هـ/945 م. (د ت). دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نورد الدين صاحب حماة. ت 1357/758. (1857). المختصر في أخبار البشر. المكتبة العربية الصقلية لميخائيل أماري. مكتبة المثنى ببغداد. ليبسك.
- الأصفهاني، عماد الدين. خريدة القصر وجريدة العصر. ت 591 هـ/1201 م. (1986). تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحي. الدار التونسية للنشر.
- الداودي، أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي. ت 402 هـ/1011 م. كتاب الأموال. (1962). الفصل الذي نشره حسن حسني عبد الوهاب وفرحات الدشراوي بـ: Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal. 2 T. Paris.
- عياض، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي. ت 544 هـ/1150 م. (1998). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. دار الكتب العلمية. بيروت.
- القلقشندي، أبو العبّاس أحمد بن علي. ت 821 هـ/1418 م. (1857). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. الباب 104. المكتبة العربية الصقلية لميخائيل أماري. مكتبة المثنى ببغداد. ليبسك.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد. ت بعد 464 هـ/1072 م. (1857). رياض النفوس. المكتبة العربية الصقلية لميخائيل أماري. مكتبة المثنى ببغداد. ليبسك.
- مجهول، 256-350 هـ/869-961 م. (1972). العيون والحدائق في أخبار الحقائق. الجزء الرابع. نشره Omar, Saidi. Kitab al-Uyūn wa-l Hadā'iq fī Ahbār al-Haqāiq'iq. Tome IV : Extraits relatifs à l'Occident Musulman et en particulier à l'Ifriqyya (256-350). Les Cahiers de Tunisie. T. XX. 79-80. 3eme et 4eme Trimestres. 1972. p. 45-100.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- مجهول، كتب خلال القرن 4 هـ/10 م. (1857). تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها المسلمون وأخبار ما جرى فيها من الحروب وتبديل الأمراء وغير ذلك. المكتبة العربية الصقلية لميشال أماري. مكتبة المثنى ببغداد. ليبسك.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد. ت 988/378. (1909). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر. بيروت.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. ت 845 هـ/1441 م. (1991). المقفّى الكبير. 7 أجزاء. تحقيق محمد اليعلاوي. ط 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. ت 845 هـ/1441 م. (1987). كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. جزءان. ط 2 مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة.
- النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي. ت 974/363. (1996). كتاب المجالس والمسايرات. تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي. دار المنتظر. بيروت .
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. ت 733هـ/1333 م. (2004). نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق علي بو ملحم. ط 1. دار الكتب العلمية. بيروت.

المراجع باللغة العربية:

- جعيط، هشام. (2004). تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/السابع والثامن م. دار الطليعة. بيروت .
- الطالبي، محمد. (1985). الدولة الأغلبية، 184-296 / 800-909، التاريخ السياسي. نقله إلى العربية د. المنجي الصيادي. ط 1. دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.
- العربي، العربي الصغير. (2016). "الحضور العربي الإسلامي في جزر غرب المتوسط (قوصرة وسردانية وصقلية ومالطة)" أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية غير منشورة. إشراف الأستاذ فوزي محفوظ. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس.
- المدني، أحمد توفيق. (بدون تاريخ). المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.

المراجع باللغات الأجنبية:

- Vasiliev, A. A. (1935). Byzance et les arabes. T. I. éd de l'Institut de Philologie et d'Histoire Orientales. Bruxelles.
- Aziz, A. (1975). A History of Islamic Sicily, Edinburgh University Press. T. A. Constable Ltd., Edinburgh.
- Nef, A. (2007). "La Sicile dans la documentation de Geniza cairote (fin Xe –XIIe siècle) : les réseaux attestés et leur nature". Espace et réseaux en Méditerranée, VIe-XVIe siècle. Part 1: 270-285.
- Nef, A. (2004). "Les élites savantes urbaines dans la Sicile islamique d'après les dictionnaires biographiques arabes". MEFRMA. 116: 451-470.
- Nef, A. (2008). "La désignation des groupes ethniques de la Sicile islamique dans les chroniques en langue arabe". Annales Islamologiques. 42: 57-72.
- Luttrell, A. T. (1975). "Approaches to medieval Malta". Medieval Malta. Studies on Malta before the knights. The British School at Rome: 1-70.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

- Sammut, C. (1978). "La perception par les auteurs maltais de l'arabisation islamisation de l'île de Malte". Deusième congrès international d'étude des cultures de la Méditerranée occidentale II, Société nationale d'édition et de diffusion. Alger: 300-325.
- Miller, **C.** (2003). "Henri Bresc, Arabes de langue, Juifs de religion : L'évolution du judaïsme sicilien dans l'environnement latin, XIIe-XVe siècles, 2001. Paris. Éditions Bouchène. 349 p., ISBN 2-91246-39-5". *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [En ligne], 101-102 | 2003, mis en ligne le 01 décembre 2004, consulté le 10 décembre 2024. URL : http://journals.openedition.org/remmm/2448 ; DOI : https://doi.org/10.4000/remmm.2448.
- Engels, D. (2013). "Entre tolérance, désintérêt et exploitation. Les relations christiano-musulmanes en Sicile du IXe au XIIIe siècle et leurs racines dans l'histoire religieuse de l'île". Cahiers de la Méditerranée, [En ligne], 86 | 2013, mis en ligne le 15 décembre 2013, consulté le 10 décembre 2020. URL : http://journals.openedition.org/cdlm/6880 ; DOI : https : //doi.org/10.4000/cdlm.6880, p. 273-300.
- Bresc, H. (1994). "Malte et l'Afrique (1282-1492)". Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée. 71 (1): 63-74.
- Bresc, H. (2001). Arabes de langue, juifs de religion –L'évolution du judaïsme sicilien dans l'environnement latin, XIIe –XVe siècles. Paris.
- Bresc, H. (2002). La Sicile musulmane. Clio.
- Abdul-Wahab, H. H. (1905). La domination musulmane en Sicile, Travail communiqué au XIVe congrès des orientalismes (Alger 1905). Imprimerie générale (J. Picard & Cie). Tunis.
- Lavoix, H. (1887-91). Catalogue des Monnaies Musulmanes du Musée du Louvre. Vol. II, Paris.
- Johns, J. (1988). "La Monreale survey insediamento medievale in Sicilia occidentale : premesse, metodi, problemi e alcuni risultati preliminari". Castrum 2: 73-84.
- Ben Romdhane, Kh. (2008). Contribution à l'étude des monnaies de l'Ifrīqiya (fin 1er s.- fin Xe s. H./ fin VIIe s.-milieu XVIe s.), 2 t. Institut National du Patrimoine. Tunis.
- Al-'Ush, M. A. (1982). Monnaies Aghlabides étudiées en relation avec l'histoire des Aghlabides. Institut Français de Damas. Damas.
- Amari, M. (1933-1939). Storia dei Musulmani di Sicilia, 2e ed. ac. di Carlo Alfonso Nallino. 3 voll. Catania.
- Lafi, N. (2004). "Aspects du gouvernement urbain dans la Sicile musulmane", Cahiers de la Méditerranée, 68, [En ligne], 68 | 2004, mis en ligne le 30 avril 2006, consulté le 08 septembre 2020. URL : http://journals.openedition.org/cdlm/625; DOI : https://doi.org/10.4000/cdlm.625.
- Boccanera, P. B. (1908). Cenni Storici su Pantelleria, éd. Dottor L. Asaro & N. Alessi, Partanna .
- Spahr, R. (1976). Le Monete Siciliane Dai Bizantini A Carlo I d'AngiÒ *(582-1282)*, Association Internationale des Numismates Professionnels. 3. Zurich.
- Cusa, S. (1860-1882). I Diplomi greci e arabi di Sicilia, 2 Voll. Palermo.
- Simonsohn, S. (1992). "Prolegomena ad una storia degli ebrei in Sicilia". Italia Judaica, Atti del V convegno internazionale. Palermo. 15-19 giugno: 16-30.
- Rizzitano, U. (1979). "Ifrikia et Sikilliyya : Un jumelage méditerranéen". Actes de premier congré d'histoire et de la civilisation du Maghreb. T1. Université du Tunis : 201-208.
- Lagardère, V. (1993). Campagne et paysans d'Al-Andalus VIIIè – XVe S. Maisonneuve et Larose, Paris.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved